عيب التعقيد المعنوي
وأثره في فصاحة الكلام

The Flaw of Moral Complexity and Its Impact on the Eloquence of Speech

المؤلف الدكتور: الأمين الطيب الطاهر
أستاذ مشارك – جامعة وادي النيل

مستخلص الدراسة:

تحدثت هذه الدراسة عن التعقيد المعنوي، أحد أهم عيوب فصاحة الكلام، وقد ذُكر في كتب البلاغة قديمها ومحدثها، وقد ظهر منذ بداية التأليف مشتركاً مع عيب التعقيد اللفظي في عيب واحد وهو "التعقيد" وبتطور الدرس البلاغي أصبح عيباً منفصلاً له تعريفه وحدوده وشواهده وقد عَّرفته الدراسة بأنه: (كون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد، لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأول، إلي المعنى الثاني المقصود، بحيث يكون ادراك المعنى الثاني من الأول بعيداً عن الفهم، لدلالة الكلام – عرفاً – على معنى ثالث غير مراد، مع عدم وجود قرينة) وقد تناولت الدراسة هذا التعريف بالشرح والتحليل والتفصيل، وايراد الشواهد والأمثلة التي توضحه وتبينه:

وقد توصلت الدراسة لعدد من النتائج منها:

1. إن التعقيد المعنوي يعتمد على المجاز والكناية.
2. إن التعقيد المعنوي هو جزء مما يُسمى بالمعاظلة اللفظية.

وتوصلت الدراسة لعدد من التوصيات منها:

1. قيام دراسة مفصلة لعيوب فصاحة الكلام.
2. قيام دراسة مفصلة لعيب التعقيد المعنوي.

الكلمات المفتاحية: التعقيد المعنوي – والتعقيد اللفظي – فصاحة الكلام

Abstract

This study attempts to clarify the Abstract complication within the expression، which leads to the defect that hamper clear language. These defects has been mentioned and analyzed previous studies.

The abstract complicate has been mentioned accompanied with the defect of expression in one word and that is (Defect). However، in the development of studies that Abstract defect was distinguished as an independent concept which has its boundaries and examples.

It defined that "when the expression becomes invisible in meaning according to what it meant to، because of some defects in transference of the first meaning to the second meaning which is meant، so that the understanding

of the second meaning is bound to be not understandable because of third meaning not wanted when there is no indication.

The study tried to explain the aforementioned definition with illustrations and examples that clarify it. It resulted in the following conclusions:

1. Abstract complication depends on.
2. Abstract complication is a part of platitude.

The study recommends the following:

1. There should be detailed research in the clarify of expression.
2. A detailed research should be done to the defects of Abstract complication.

Keywords: Moral Complexity - Verbal Complexity - Eloquence of Speech

مقدمة:

اللغة العربية لغة القرآن الكريم، معجزة الرسول محمد بن عبد الله صلي الله عليه وسلَّم البيانية التي تحدى بها أهل اللغة والفصاحة، الذين وصلوا بها مرحلة السحر، ففي اللغة كلامٌ وصل في سحر عقول وقلوب أصحابها أن علقوه زينة على جدار أعظم بيت للخالق العظيم، فسار بها الركبان في زمانها، يفاخرون بها ويباهون، كيف لا!! وهي تمائم بيت ربهم زينة وتبركاً، وسار بها زمانهم يفاخر بها كل الأزمنة، حتي زمان حضارتنا استغشي بتطوره التقني لكنه خجل منها.

وحتى تحافظ اللغة على عظمتها بتعبيرها عن مراد الناس، كان لابد من وضع ضوابط تحصن لسانها فكانت علومها: النحو والصرف والبلاغة وغيرها لتأتي البلاغة وتحتها الفصاحة، التي وضعت فيها قواعد فصاحة الكلمة، وفصاحة الكلام وفصاحة المتكلم، وتوضيح عيوب فصاحة الكلام حتي يتجنبها المتكلم.

وفي هذه الدراسة نتناول أحد أهم عيوب فصاحة الكلام وهو التعقيد المعنوي.

مشكلة الدراسة:

ظهرت مشكلة الدراسة في الخلط بين عيوب فصاحة الكلام خاصة بين عيب التعقيد المعنوي والتعقيد اللفظي، بعد الفصل بينهما حيث أن بعض المؤلفات القديمة تجمع بينهما تحت عيب واحد باسم التعقيد.

تساؤلات الدراسة:

1. ماهي عيوب الفصاحة؟
2. ماهي عيوب فصاحة الكلام.
3. ما هو عيب التعقيد المعنوي؟
4. ما علاقة التعقيد المعنوي بالمعاظلة؟

أهداف الدراسة:

1. معرفة عيب التعقيد.
2. معرفة عيب التعقيد المعنوي.
3. معرفة العلاقة بين التعقيد المعنوي والتعقيد اللفظي.
4. معرفة العلاقة بين التعقيد المعنوي والمعاظلة.

أهمية الدراسة:

تأتى أهمية الدراسة في أنها تتناول موضوع في غاية الأهمية وهو "عيب التعقيد المعنوي" لأنه من العيوب المعقدة ويحتاج إلي تفصيل وشرح.

منهج الدراسة:

تتبع هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة التي تناولت عيب التعقيد المعنوي سواء مع بقية عيوب فصاحة الكلام أو تناولته بالدراسة مفصلاً:

1/ كتاب علوم البلاغة "البيان والبديع والمعاني"، تأليف: د. محمد أحمد قاسم – د. محمد ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، تحدث الكتاب عن فصاحة المركب "فصاحة الكلام" وذكر منها سلامته من التعقيد المعنوي وقد عرَّفه بقوله: (الكلام الذي خفيت دلالته على المعنى لخلل واقع في معناه بسبب انتقال الذهن من المعنى المفهوم لغة من اللفظ إلي المعنى الثاني المقصود بحيث يحتاج المعنى البعيد إلي تكلف وتعسف في التفسير).

2/ **شبكة الألوكة** – إشراف: د. سعيد بن عبد الله الحميد الفصاحة والبلاغة: شرح وأمثلة: عبد الشكور معلم عيد فارح، تاريخ الاضافة: 2020/4/5م

ذكر فيه الكاتب عيوب فصاحة الكلمة، وعيوب فصاحة الكلام، وعرَّف التعقيد المعنوي بقوله: (هو إساءة استعمال الكلمة في غير معناها الحقيقي مما يؤدى إلي التباس الأمر على السامع.)

3/ شبكة الألوكة/ الأدبية واللغوية/ إشراف: د. سعيد بن عبد الله الحميد– الشاهد الشعري في مبحثي الفصاحة والبلاغة 2/3 د. عيد محمد شبايك – تاريخ الاضافة 2010/2/23م

في هذا البحث أو الدراسة جاء التعقيد المعنوي شرطاً أخيراً من شروط فصاحة المركبات – كما يقول – وقد عرَّفه بقوله: (المقصود بذلك انغلاق المعنى بحيث يَصْعُب على المتلقي الوصول إليه، ويكون النظم معقداً تعقيداً معنوياً بعيداً عن رسوم التلاؤم مع مقتضى الحال إذا غمض معناه، لا بسبب لطفه وخفائه، ولكنه بسبب عيب واقع في انتقال الفكر من المعنى الأول (اللغوي) غير المراد إلي المعنى الثاني في بابي (المجاز والكناية) وهو المراد، ومرد هذا الغموض إلي اشتمال النظم على لوازم بعيدة عن الفهم في العرف البلاغي.)

4/ موقع الدرر السنَّية/ المشرف العام: علوى بن عبد القادر السقَّاف موسوعة اللغة العربية – علم البلاغة – الباب الأول: مدخل إلي علم البلاغة، المبحث الثاني: التعقيد المعنوي وقد عرَّفه بقوله: (هو ما يرجع إلي المعنى وهو ألاَّ يكون انتقال الذهن من المعنى الأول، إلي المعنى الثاني، الذي هو لازمه والمراد به ظاهراً).

أهم نتائج الدراسة:

1. إن التعقيد المعنوي والتعقيد اللفظي بينهما اتفاق واختلاف.
2. إن التعقيد المعنوي يعتمد كثيراً على المجاز والكناية.
3. إن من أسباب التعقيد المعنوي: الفهم المتعارف عليه لبعض المجازات والكنايات.

4. إن التعقيد المعنوي هو جزء مما يسمى بالمعاظلة اللفظية.

من أهم التوصيات:

1. قيام دراسة مفصلة لعيوب فصاحة الكلام.
2. قيام دراسة مفصلة لعيب التعقيد المعنوي.
3. قيام دراسة مفصلة للمعاظلة والمعاظلة اللفظية.
4. قيام دراسة لملحقات التعقيد المعنوي.
5. قيام دراسة لعلاقة التعقيد المعنوي بأنواع المجاز المتعددة.

التعقيد المعنوي

الأصل في الكلام أن تكون ألفاظه حامله لمعانيه، فتوصلها كما تجيش في نفس وفكر صاحبها إلي سمع وعقل وقلب المخاطب أو المتلقي، فتصل المعاني إلي القلب عند وصول الألفاظ إلي السمع.

فإذا لم يصل المعني من المتكلم إلي المخاطب بهذه الألفاظ أو هذا الكلام بأي حال، فإن هذا الكلام غير صحيح وهذا لا يعنينا ... أما إذا كان الكلام يدل على معنى بوجه ما أو يدل عليه لكن فيه صعوبة وخفاء، فإن هذه الصعوبة والخفاء هو مدار البحث في الفصاحة.

والفصاحة في اللغة تعني البيان والظهور والطلاقة يقول ابن سيده: (الفصاحة والبيان، فصُحَ فصاحة فهو فصيحٌ من قوم فُصحاءَ، وفِصاح، وفُصُحٌ، وإمرأةٌ فَصيحةٌ من نسوة فِصاحٍ وفصائح، وأفصحت الشاة والناقة: خلص لبنُها، وأفصح الصبح بدأ ضوؤه واستبان)(ابن سيده، (2000م)،ج3، ص164)، وجاء في لسان العرب: (فصح: الفصاحة: البيان .. والفصيح في اللغة: المنطق اللسان في القول.)(ابن منظور، 2014م، ج2 ص 544)، ويقول الزمخشري: (... وأفصح الأعجمي: تكلم بالعربية وفصح: انطلق لسانه بها وخلصت لغته من اللكنة، وأفصح الصبيُّ في منطقه: فهم ما يقول أو ما يتكلم.)[3](الزمخشري، 1998م، ج2 ص 24)

قال الشاعر:

وقد كنت ذا مال فصيح وصامت وذا إبل قد تعلمين وذا غنم (الزبيدي، 2012،ج7 ص20)

أراد بالفصيح: بني آدم، وبالأعجمي: البهائم.

والفصاحة في الاصطلاح: وردت لها في كتب البلاغة والبيان عدد من التعريفات، جاء في كتاب تحرير التحبير عنها: (إنها خلوص الألفاظ من التعقيد المبعد عن ادراك معانيها، وعن العيوب التي تعرض فيها.)(أبو الأصبع، 2012، ص 422)، ومن أشمل تعريفات الفصاحة ما جاء في كتاب جواهر البلاغة، بقوله: (والفصاحة في اصطلاح أهل المعاني عبارة عن الألفاظ البينة الظاهرة المتبادرة إلي الفهم والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشعراء لمكان حسنها.)(الهاشمي، 1999م، ص 19)

وتتفق كتب البيان في أنَّ الفصاحة يجوز أن تطلق وصفاً على الكلمة المفردة، وعلى الكلام المركب وعلى المتكلم.

توصف الكلمة بالفصاحة إذا كانت متآلفة الحروف واضحة المعنى سليمة البناء مقبولة في سمعها سهلة في نطقها، وقد ذُكر في كثير من كتب البلاغة أن فصاحة الكلمة سلامتها من عدة عيوب

وتفاوتت في تعدادها، لكن معظم المؤلفات الحديثة حصرتها في أربعة عيوب كلها تحوم حول عيوب فصاحة الكلمة المذكورة في مؤلفات علماء البلاغة الأوائل وهذه العيوب الأربعة هي:

1. تنافر الحروف 2. غرابة الاستعمال
3. مخالفة القياس 4. الكراهة في السمع

ويوصف الكلام بالفصاحة إذا كانت مفرداته المكونة له فصيحة، كل كلمة خالية من عيوب فصاحة الكلمة الأربعة المعروفة، وأن يكون متآلف الكلمات، ومركب على وفق قانون النحو ومرتبة بحيث تأتي ألفاظها على ترتيب معانيها خالية من التعقيد، وقد ذكر علماء البيان قديماً وحديثاً عدداً من العيوب التي تخل بفصاحة الكلام وهي تختلف في عددها، وإن كانت لا تختلف في مضمونها، فمن عدها ثلاثة عيوب أدخل بعضاً منها في بعض، وكذلك من عدَّها أربعاً أو خمساً، لكن آخر وأشهر تقسيم تكاد تجمع عليه كتب البلاغة الحديثة هو عدَّها في ستة عيوب وهي:

1/ تنافر الكلمات مجتمعة 2/ ضعف التأليف
3/ التعقيد اللفظي 4/ التعقيد المعنوي
5/ كثرة التكرار 6/ تتابع الإضافات

وتناول العلماء في كتبهم هذه العيوب الستة بالدراسة والتفصيل، فنجد كتب البلاغة القديمة تناولت عيبي "التعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي" تحت مسمى "التعقيد" كعيب واحد، بل واقتصر بعض العلماء عيوب الفصاحة على عيب "التعقيد" فقط، يقول أبو حيان التوحيدي: (الفصاحة هي خلوص اللسان من التعقيد)(التوحيدي، 1988، ج6، ص 121)، ونفس المعني ذهب إليه شهاب الدين الابشيهي بقوله: (قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله: أعلم إن الفصاحة خلوص اللسان من التعقيد.)(الاشبيهي، 1419، ص 50) وذكره كذلك جعفر بن يحيي البرمكي متحدثاً عن فصاحة الكلام بقوله: (أن يكون اللفظ محيطاً بمعناك كاشفاً عن مغزاك، وتخرجه من الشركة ... ويكون سليماً من التكلف بعيداً من سوء الصنعة، بريئاً من التعقيد.)(الهاشمي، 1999، ص 43)

فالتعقيد هنا يُراد به التعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي، أو أي تعقيد يحول دون وضوح المراد من الكلام، وهذا البحث لدراسة التعقيد المعنوي العيب الرابع من عيوب فصاحة الكلام بالتفصيل والشواهد.

تعريف التعقيد المعنوي:

التعقيد: لغة: من عقَّد يُعقَّد تعقيداً، والتعقيد يعني الالتواء وعدم الاستقامة، جاء في كتاب تهذيب اللغة: (عقد طاق البناء، وجمعه عقود، وقد عقَّد البناء تعقيداً، ومَوْضع العقد في الحَبل عُقْدة، والأعقد من التيوس: الذي في قرنه التواء، ورجلٌ أعقد إذا كان في لسانه رتج.)(الأزهري، 2001، ج1، ص 135)، وعقَّد الشيء معناه أعماه وصَعَّبه، يقول أحمد بن فارس: (يُقالُ: تعقد السَّحاب: إذا صار كأنَّه عقد مضروب مَبنيٌّ... ويُقال للرجل: قد تحللت عُقَدُهُ: إذا سكت غضبه ... قال الدريدي: عقَّد فلان كلامه إذا عمّاه وأعْوَصَه).(ابن فارس، 2008، ج4 ص89)

والتعقيد يخفى ويغطى الكلام على المخاطب، قال تعالي: على لسان موسي عليه السلام: (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي) (سورة طه: 28)، أي: يفقهوه ويعرفوه، جاء في تفسير الطبري: فأطلق

لساني وكانت فيه فيما ذكر عُجمة عن الكلام الذي كان من القائه الجمرة في فِيه يوم همَّ فرعون بقتله.)(الطبري، 2000، ج16، ص 53)، يقول البحتري:

حزن مستعمل الكلام اختيارا وتجنَّبن ظلمة التعقيد(ابن عبد ربه، 2006، ج4، ص285)

والمعنوي لغة: من عنى يعنى ومعنى، والمعنى هي المصدر جاء في تاج العروس: (عنى بالقول كذا، يعنى "أراد" وقصد، قال الزمخشري: ومنه المعنى، ومعنى الكلام ومعنِيّه بكسر النون وتشديد الياء، معناته، ومَعْنيته واحدٌ، أي فحواه ومَقْصَده، والاسم العناءُ. تقول عرفت ذلك في معنى كلامه وفي معناة كلامه، وفي معنى كلامه: أي فحواه.) (الزبيدي، 1965، ج35، ص 122)

وجاء في كتاب التعريفات: (المعنوي: هو الذى لا يكون للسان فيه حظ، وإنما هو معني يعرف بالقلب.)(الجرجاني، 1983، ص 220)، والتعقيد المعنوي معناه: مقصد الكلام أو المراد منه خفى غير ظاهر.

معنى التعقيد المعنوي اصطلاحاً:

التعقيد أولاً ورد في تعريفه في كتاب البيان شاملاً التعقيد المعنوي و التعقيد اللفظي، يقول أبو هلال العسكري: (التعقيد والاغلاق والتعقير سواء، وهو استعمال الوحشي، وشدة تعليق الكلام بعضه ببعض حتي يستبهم المعني.)(العسكري، 1919، ص 45)

وقد أكدت الأمثلة التي أوردها صاحب الصناعتين في كتابة للتعقيد، ارادته التعقيد اللفظي والمعنوي، ومثله في اشتمال التعريف قول أسامة بن منقذ: (التعقيد هو: تعسير المعاني ولذلك قال الأصمعي: أجود الشعر ما وصل معناه إلي القلب مع وصول لفظه إلي السمع.)(ابن مرشد، 1961، ص 162)

فالتعقيد معناه: هو أن يكون الكلام خفى الدلالة على المعنى المقصود منه لخلل ما واقع فيه. وقد قسم العلماء التعقيد إلي قسمين، جاء في كتاب صبح الأعشى: (أن يكون سليماً من التعقيد، وهو أن يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد منه، وهو على ضربين:

الضرب الأول:

ألا يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعاني...)(القلقشندي، 1922، ج2، ص 286)، وواضح أنه يريد بالضرب الأول الذي ذكر جزء من تعريفه "التعقيد اللفظي"، وذكر الضرب الثاني بقوله: (ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم بحسب اللغة إلي الثاني المقصود.)(القلقشندي، 1922، ج2، ص 289) وهذا الضرب المقصود به "التعقيد المعنوي".

وقد عرِّف كثير من العلماء التعقيد المعنوي بعد أن ظهر كاسم اصطلاحي لعيب من عيوب فصاحة الكلام يقول القلقشندي: (ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم بحسب اللغة إلي الثاني المقصود، لإيراد اللوازم البعيدة المفتقرة إلي الوسائط الكثيرة مع خفاء القرائن الدالة على المقصود.) (القلقشندي، 1922، ج2، ص 289).

وعرَّفه الخطيب القزويني بجزء هذا التعريف بقوله: (الكلام الخالي من التعقيد المعنوي، ما كان الانتقال من معناه الأول إلي معناه الثاني الذي هو المراد به – ظاهراً، حتى يُخيل إلي السامع أنه فهمه

من حاق اللفظ.)(القزويني، 1993، ص 36). ونجد القزويني يعرفه في موضع آخر بقوله: (ألا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول إلي المعنى الثاني– الذي هو لازمه والمراد به ظاهراً.)(القزويني، 1993، ص 33)

ومن أشمل التعريفات قول السيد الهاشمي: (كون التركيب خفى الدلالة على المعنى المراد بحيث لا يفهم معناه إلا بعد عناء وتفكير طويل وذلك لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأصلي إلي المعنى المقصود بسبب إيراد اللوازم البعيدة، المفتقرة إلي وسائط كثيرة مع عدم ظهور القرائن الدالة على المقصود، بأن يكون فهم المعنى الثاني من الأول بعيداً عن الفهم عرفاً.)(الهاشمي، 1999، 34)

ومن تعريفات التعقيد المعنوي قول عبد المتعال الصعيدي: (هو ألا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول إلي المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهراً.)(الصعيدي، 2005، ج1، ص20)

ومن التعريفات الحديثة للتعقيد المعنوي، قول حامد عوني: (أن يكون الكلام خفى الدلالة على المعنى المراد، لخلل واقع في انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم من اللفظ لغة، إلي المعنى الثاني المقصود بحيث يكون ادراك المعنى الثاني من الأول بعيداً عن الفهم، ويحتاج إلي تكليف وتمهل بسبب استعمال اللفظ في معنى خفى لزومه للمعنى الأول)(عوني، 1974، ج1 ص 21).

وجاء في تعريف مساعد الحازمي: (... أن لا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول الأصلي الذي هو وضع الواضع، وضع اللغة، إلي المعنى الثاني المراد من المتكلم ظاهراً، يُعبَّر بلفظ يحتمل معنيين، له ظاهر في وضع اللغة، هو لا يريد الوضع الظاهري، يريد لازمه المعنى الآخر، لكن انتقال الذهن عند السامع من المعنى الأصلي غير ظاهر، لأنه أخطأ في الاستعمال.)(الدمنهوري، 2017، ج5، ص8). ولأحمد بن مساعد الحازمي تعريف آخر للتعقيد المعنوي حيث يقول: (التعقيد المعنوي هو ألا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول إلي المعنى الثاني ظاهراً، يعنى يكون للفظ معنيان، أحدهما ظاهراً والثاني غير ظاهر، يكون مراد الناظم أو المتكلم غير الظاهر لكنه لم يجعل له قرينة تجعل الذهن ينتقل من الظاهر إلي غير الظاهر، فحينئذ يكون وقع فيه ابهام.)(الحازمي، 2019، ج5، ص 15)، وفي تعريف آخر يقول: (التعقيد المعنوي أن يستعمل لفظاً ويريد به معنى بعيد دون اقامة قرينة تدل على ذلك، فالانتقال من المعني الظاهر{إلي غير الظاهر} فيه بعيد.)(الحازمي، 2019، ج2، ص 16)

ومن هذه التعريفات والتي أحاطت في مجملها بعيب التعقيد اللفظي يمكن أن نقول في تعريفه:

التعقيد المعنوي هو:

كون الكلام خفى الدلالة على المعني المراد، لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأول إلي المعنى الثاني المقصود، بحيث يكون ادارك المعنى الثاني من الأول بعيداً عن الفهم، لدلالة الكلام عرفاً على معنى ثالث غير مراد، مع عدم وجود قرينة.

وسنتناول هذا التعريف بالشرح والتفصيل لنقف من خلاله على بعض الأمثلة والشواهد التي يتضح بها عيب التعقيد المعنوي أكثر.

قول التعريف: (كون الكلام خفى الدلالة على المعني المراد...)

إن المعاني والأفكار في عقل صاحبها لا تصل إلي المخاطبين ولا يعرفها الناس إلا بالتعبير عنها بالكلام – أو غيره من دلالات توصيل المعاني – فالكلام يأتي ليدل على المعنى الذي يريده قائله: لأن الإرادة شرط الدلالة يقول أبو البقاء الحنفي: (الإرادة شرط الدلالة، يعنى أن الدلالة هي الالتفات من

اللفظ إلي المعنى من حيث أنه مراد، فلولا العلم بالإرادة لمعنى من اللفظ لم يتوجه السامع من اللفظ إلي المعنى.)(أبو البقاء، 1998، ص 1015).

الكلمات المفردة موضوعة لمعاني تدل عليها، وعندما تدخل في تركيب وتصبح "كلاماً" يدل على معنى، هذا المعنى هو الأصل المفهوم من الكلام، أو المعنى الأول، لكن ربما يريد المتكلم من هذا الكلام معنى ثاني، فلابد أن ينتقل ذهن المخاطب أو السامع من المعنى الأول إلي المعنى الثاني الذي هو مراد المتكلم، والمعني الثاني ربما يكون كناية أو مجاز أو غيرها...

وذلك مثل ما جاء في قصة العجوز التي جاءت إلي قيس بن سعيد فقالت له: (أشكو إليك قلة الجرذان، فقال: ما أحسن هذه الكناية املؤوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمراً.)(ابن قتيبة، 1418هـ، ج1، ص145)

فإن المعنى الأول هو المفهوم من ظاهر الكلام أما الثاني، الذي انتقل إليه ذهن قيس ين سعيد وفهمه من كلام المرأة التي جاءته هو: لم تصرَّح المرأة وإنما أوصلت مرادها بالكناية.

والكناية وردت في اعجازها البياني في القرآن الكريم في قوله تعالي: (أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ)(المائدة:6)، المعنى الواضح الظاهر معروف وهو: "أو جاء أحدكم من الأرض الواسعة المنخفضة"، لكنه غير مراد بالحكم المذكور في الآية "التيمم في حالة عدم وجود الماء"، وإنما مراد به المعنى الثاني الذي هو "قضاء الحاجة"، وكذلك في نفس الآية قوله تعالي: (أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ)(المائدة: 6)، فإن المعنى الأول الظاهر هو لمس النساء، واللمس معروف، لكن المعنى المراد الذي عليه الحكم الناتج من فعل الملامسة، يدل على مراداً به آخر غير هذا المعنى الأول، وإنما كنى به عن معنى "الجماع"، يقول الطبري في تفسيرها: (أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ يقول أو جامعتم النساء)(الطبري، 2000، ج1، ص 83).

ومن ارادة المعنى الثاني ما يأتي بالمجاز مثل أن تقول "رأيت بطلاً يزأر" فهذا معناه الأول واضح وهو غير المراد، أما المعنى الثاني المراد هو: "رأيت رجلاً بطلاً كالأسد يتحدث"، وأحياناً يأتي المجاز أو الكناية خفية الدلالة على المعنى المراد، مثل قول الشاعر:

وإن يك فيَّ عيب فإني جبان الكلب مهزول الفصيل(الطبري، 2000، ج1، ص 234)

الشاعر هنا أراد :"بجبان الكلب مهزول الفصيل" كنايات عن الكرم وأن كلبه اعتاد كثرة دخول الضيوف لذلك أصبح لا ينبح في أي شخص فصار "كالكلب الجبان" وهذه كناية بعيدة، وكذلك كناية "مهزول الفصيل" يريد به بأن ابن ناقته هزيل ضعيف وذلك لأن لبن أمه مبذول للضيوف، أو لأنه ذبح الناقة أمه التي ترضعه لضيوفه وهذا كذلك معنى بعيد.

مما رأينا أن الكلام الذي فيه مجاز أو كناية له معنيان، وهنالك كلام يحتمل ثلاثة معانى، مثلاً ما جاء قول في الشاعر:

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضُحى لم تَنْطق عن تفضُّل(ابن حجر، (2004، ص44)

جاء في كتاب الصناعتين عن معنى البيت: (أراد أنها مكفيّه ونئومة الضحا وترك الانتطاق للخدمة يردفان الكفاية، فعبر بهما عنها وأراد أنها من أهل الترفَّه والنعمة فتستعمل المسك الكثير فينتشر في فراشها وهذه الحال تردف الترف والنعمة.)(العسكري، 1919، ص 352)

من بيت شعر امرئ القيس، جملة "نؤوم الضحى":

- معناها الأول الذي هو ظاهر الكلام: المرأة التي تنوم الضحى.
- معناها الثاني وهو الكناية المتعارف عليها بأنها يراد منها المرأة المترفة المنعمة كما ذكر صاحب كتاب الصناعتين.
- معناها الثالث الذي تتحمله الجملة إنَّ من تنام الضحى في وقت العمل وقضاء واجبات البيت فهو يعنى أن هذه المرأة كسلى.

ومثله قول عمرو بن ربيعة:

بعيدة مهوى القرط، أما لنوفل أبوها وأما عبد شمس وهاشم(ابن حجر، 1410، ص501)

جملة "مهوى القرط" معناها اللغوي ظاهر معروف "كبر قرطها وطوله" وهو المعني الأول – غير مراد ومعناها الثاني كناية اعتاد الناس أن يستعملوها في هذه العبارة وهي "طول العنق"، وتتحمل هذه العبارة معنى ثالث: وهو أن هذه المرأة ثرية لكبر وطول قرطها.

وبهذا المعنى الثالث ينقسم الكلام إلي قسمين:

القسم الأول:

أن تحتمل الجملة ثلاث معاني هي:

1. المعنى الأول الأصل وهو غير المراد.
2. المعنى الثاني قريب ينتقل إليه ذهن المخاطب ويظنه المراد لوجود قرائن تدل عليه.
3. الثالث هو المعنى الحقيقي والواقع عند المتكلم لكنه يوهم بالمعنى الثاني لسبب بلاغي.

وذلك مثل ما حكاه المدائني حيث قال: (أتى العريان بن الهيثم بشاب سكران فقال له من أنت؟ فقال:

أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره وإن نزلت يوماً فسوف تعود

ترى الناس أفواجاً إلي ضوء ناره فمنهم قيام عندها وقعود

فظَّن أنه من بعض أشراف الكوفة فخلاه، ثم ندم على ألاّ يكون سأله من هو، فقال لبعض الشرّط سل عن هذا، فسأل فقالوا له هو ابن بياع البقاليّ.)(ابن قتيبة، 1418، ج2 ص219) قوله: "لا ينزل الدهر قدره" معناه الأول مفهوم من اللغة من ظاهر الكلام وهو أن قدره دائماً على النار وفيها الطعام لانضاجه.

- معناه الثاني: وهو متعارف عليه بالكناية وتدل عليه القرائن وهو معنى "الكرم".
- معناه الثالث: يريد أن والده "صاحب بقالة" يبيع من هذا القدر للناس، وإن الناس ينتظرونه، والمتكلم صدق في المعنى الثالث، لكنه يوهم عن قصد ويستتر بالمعنى الثاني لسبب بلاغي، وهو التمويه على الحاكم خشية منه.

وهذه الثلاثة المعاني في "ينزل الدهر قدره" تتحملها الجملة ومقصودة من المتكلم.

القسم الثاني:

أن تتحمل الجملة ثلاثة معانى وهي:

- المعنى الأول: وهو المعنى الأصل ويفهم من ظاهر الكلام– وهو غير المراد.
- المعنى الثاني: وهو معنى يريده المتكلم بالمجاز أو الكناية، وفيه خفاء وصعوبة في انتقال الذهن إليه.

- المعنى الثالث: هو الذي ينتقل إليه الذهن ويدل عليه المجاز أو الكناية عرفاً، لذلك يخفى ويعقِّد دلالة الجملة على المعنى الثاني الذي يريده المتكلم.

هذا هو التعقيد المعنوي، ومنه قولك "عمر عوج الدرب" تريد منها قاطع الطريق، عوج: العوج الالتواء والانعطاف، يقول الفراهيدي: (عوج: عَوْجَ كل شيء: تعطفه، من قضيب وغير ذلك ... والعوج الاسم اللازم منه الذي تراه العيون من خشب ونحوه، والمصدر من عَوجَ يَعْوَجُ، العوج فهو أعوج والأنثى عوجاء وجمعة عُوجٌ.)(الزمر:8) وجاء في القرآن الكريم: (غَيْرَ ذِي عِوَجٍ)(الفراهيدي،2007، ج2، ص184) أي لا التواء فيه.

قال ذو الرمة:

حتى إذا عُجْن من أعناقهنَّ لنا عَوْجَ الأخشةِ أعناقَ العنّاجيج

يعنى عطف الجواري أعناقهن كما يعطف الخشاش عنق الناقة.)(ابن فارس، 2008، ج4، ص180).

والدرب هو الطريق يقول أمرؤ القيس:

بكى صاحبى لما رأي الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا(ابن جرير، 2004، ص96)

جملة "عوج الدرب" لها ثلاثة معاني:

الأول: المعني الأول هو المعنى الأصل وهو معنى غير مراد.

الثاني: المعنى الثاني الذي يريد المتكلم وهو قاطع الطريق لينهب المارة، فيترك الناس له الطريق ويعوجون دربهم حتى يتفادوه، فاطلاق "عوج الدرب" عليه فيه خفاء.

الثالث: المعنى الثالث اعتاد الناس أن يطلقوا هذه العبارة كناية عن الكرم، فالإنسان الذي يعوج طريقهم إلي بيته ليكرمهم، ومن كثرة عوجه لطريق الناس إلي بيته يطلق عليه "عوج الدرب" كناية عن كرمه.

فإرادة المتكلم المعنى الثاني وما يتبادر إلي ذهن المخاطب المعنى الثالث وهو المفهوم من الكلام عرفاً. مما يحدث خفاء للمعنى المراد وخلل في انتقال الذهن مما يحدث تعقيداً معنوياً.

قول التعريف: (لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأول إلي المعنى الثاني المقصود ...)

بما أن الفصاحة هي الظهور والوضوح فالكلام الذي يحمل معنى من المتكلم إلي المخاطب لابد أن يكون واضحاً، وإذا كان للكلام معنيين فإن كان بالاشتراك لابد من تحديد أي المعنيين حقيقي والآخر مجازي، لابد من سهولة انتقال الذهن من المعنى الحقيقي إلي المجازي المقصود، فصعوبة وبطء هذا الانتقال تخفى المعنى وتعقده يقول الخطيب القزويني: (أي: لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد لخلل واقع في انتقال الذهن – أي بسبب بطء نفس السامع في انتقالها – من المعنى الأول إلي المعنى الثاني .. وهو المعني الكنائى أو المجازي)(القزويني، 1993، ج1، ص 33) وصعوبة انتقال الذهن هذه ما ينتج عنها ما يسمى بالكنايات البعيدة عند البلاغيين، مثل ما جاء في قول الشاعر النابغة:

رقاق النعال طيب حجــزاتهم يحيون بالريحان يــوم السباسب (بن بحر،1423،ج3، ص73)

يصونون أجساداً قديماً نعيمها بخالصة الأردان خضر المناكب

ففي البيت الأول كنايتان:

الكناية الأولى: في قول الشاعر: "رقاق النعال" وهي كناية عن الترف والسيادة والعزة فهم لا يمشون بأرجلهم حتى يضطروا لأن يخصفوا نعالهم ويجعلوها سميكة، بل دائماً يركبون الخيل لأنهم أهل ثراء

وشرف وسيادة، وهذه كناية بعيدة، لضعف العلاقة بين المعنى الأول والمعنى الثاني في عرف الناس، فالانتقال من المعنى الأول إلي الثاني المراد بعيد فيه خفاء وبطء في انتقال الذهن، يحتاج إلي عدة وسائط وقرائن.

الكناية الثانية في البيت: قول الشاعر: "وطيب حجزاتهم" والحجزات هي مواضع شد إزارهم في الوسط، ويريد الشاعر كناية عن العفة والطهارة، وكأنه يريد أن يقول إن "طيب حجزاتهم" يبعدهم عن الفواحش ويوصلهم إلي العفة، فهذه كذلك كناية يجد الذهن خللاً في الانتقال من المعنى الأول إلي المعنى الكنائي الثاني بسبب خفاء وصعوبة العلاقة بين المعنيين وعدم وجود القرائن.

قول التعريف: (بحيث يكون ادراك المعنى الثاني من الأول بعيداً عن الفهم لدلالة الكلام عرفاً على معنى ثالث غير مراد.

للكلام معنى أصل يفهم ويعرف من أصل الوضع للكلمات ودخولها في التركيب، ويسمى المعنى الأصلي، وللكلام كذلك معنى ثاني به سعة اللغة إما بالمجاز أو الكناية أو غيرها، ويحتمل بعض الكلام معنى ثالث وبعضه معنى رابع كذلك.

والمعنى الثاني هو مراد المتكلم، أحياناً يكون الانتقال إليه من المعنى الأول بعيداً عن الفهم عرفاً، وذلك مثل قول ابي تمام:

من الهيف لو أن الخلاخل صورت لها وشحاً جالت عليها الخلاخل(الأمدي، 1994، ج1) ص147)

الهيف هو رقة الخاصرة، وهي خميصة البطن، يقول أبو تمام: إن هذه الحسناء رقيقة الخصر حتى أن الخلخال لو جعل عليها وشاحاً لجال الخلخال عليها.

ولعل سماعك وتصورك لضيق الخصر وسماعك لكلمة الخلخال وكلمة الوشاح يجعل المعنى في ذهنك مضطرباً غير واضح بل معقد، وذلك لأن الهيف هو الخصر والخلخال يوضع في الرجل، والوشاح يؤخذ من العاتق وينزل أحد طرفيه إلي الكشح ورقة الخصر أوصلها الشاعر إلي حد أن إذا وضع عليها الخلخال وشحاً لجال عليها الخلخال حسب كلام الشاعر!!! "الخلخال صورت لها وشاحاً" ليس على خاصرتها، وأن يكون الخلخال لها وشاحاً فذا تحديد لطولها، فكيف قصر هذه التي يجول عليها الخلخال، ومن تعقيد بيت الشاعر نجد أن فيه ثلاثة معانى:

المعني الأول: وهو المعنى اللغوي الذي يفهم من ظاهر كلام الشاعر.

المعني الثاني: الذي يريده الشاعر هو "رقة الخصر" وهو بعيد لخلل في انتقال الذهن إليه لدلالة الكلام على معنى ثالث.

المعنى الثالث: وهو الذي ينتقل إليه الذهن من كلام الشاعر وهو قصر قامة المتحدث عنها لأنه جعل الخلخال لها وشاح.

فالمعنى الثاني الذي يريده الشاعر هو أن محبوبته رقيقة الخصر لو وضع عليها الخلخال لجال عليه، لكن في كلامه خفاء لدلالة الكلام على معنى ثالث ينتقل إليه الذهن وهو قصر قامة المحبوبة حتى يكون الخلخال وشاح، قال القاضي الجرجاني: (أراد وصفها بدقة الخصر، فوصفها بغاية القصر والضئولة، لأن الوشاح يؤخذ من العاتق ويوشح احدى طرفيه الصدر والبطن، والآخر الظهر، حتى ينتهيا

إلي الكشح، ويلتقيا إلي الوراء وكيف حال من يجول الخلخال من عاتقها وكشحها، وهل تكون هذه من البشر فضلاً أن تنسب إلي الحسن.)(الجرجاني، 1900، ص 79).

المعنى الذي أراده الشاعر المعنى الثاني "رقة خصرها" مدحاً لها وغزلاً فيها، ولكن انتقل ذهن السامع إلي المعنى الثالث "قصر قامتها" لدرجة أخرجتها من البشر، قال أبو هلال العسكري فيه: (وهذا خطأ كبير، وذلك أن الخلخال قدره في السعة معروف، ولو صار وشاحاً للمرأة لكانت المرأة في غاية الدمامة والقصر.)(العسكري، 1919، ص 120)

فانتقال الذهن من المعنى الأول إلي المعني الثالث على إرادة المتكلم جعل في البيت تعقيداً معنوياً أخلَّ بفصاحته، جاء في بغية الايضاح: (أراد وصفها بدقة الخصر، فكنى عنه بأن الخلخال لو جعل لها وشحاً لجال عليها، وهذا لا يدل على مراده بل يدل على بلوغها غاية القصر، لأنه أمكن أن تكون الخلاخل وشحاً لها والوشاح يضرب لها من العاتق إلي الكشح.)(الصعيدي، 2005، ج1، ص21)

من أشهر شواهد التعقيد المعنوي والذي تناولته غالبية إن لم تكن كل كتب البلاغة التي تحدثت عن عيوب فصاحة الكلام قول عباس ابن الأحنف:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا(الأمدي، 1994، ج1،ص 74)

يري بعض المتشائمون ومنهم شعراء أن عادة الزمان أن يأتي بضد ما يريدون، أي أن ما يتحقق لهم عكس أمانيهم، لذلك هم يدعون لأنفسهم بعكس أمانيهم، ليتحقق لهم مرادهم، وعلى هذا المذهب جاء الشطر الأول من هذا البيت: "سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا" لأنه سيطلب بعد الدار ليتحقق له عكس ما طلب وهو اقترابهم، ومثله قول أبو الحسن الباجرزي:

ولطالما اخترت الفراق مخالطاً واحتلت في استثمار غرس ودادي (الحارثي،1998،ج1،ص289)

ورغبت عن ذكر الوصال لأنها تبـني الأمــور علـى خلاف مرادي

فالشاعر هنا يريد الوصال لكنه لم يذكره بل اختار الفراق لأنه يرى أن أموره تتحقق خلاف مراده.

ومثله قول الشاعر عروة بن الورد:

تقول سليمى لو أقمت بأرضنا ولم تدر أني للمقام أطوف (أبو العباس ،1997، ج1، ص163)

وقول الطائي في ذات المعنى:

آلفــه النحـيب كـم افـتراق ألمَّ فكان داعـية اجتماع (ابن قتيبة، 1418، ،ص 338)

وفي بيت عباس بن الأحنف كنايتان:

الكناية الأولي: كنى بسكب الدموع عما يوجبه فراق الأحبة من الحزن، بقوله: "تسكب عيناي" وفي هذه أصاب، وقد جاء فيها بما جاء به الشعراء لأن البكاء هو عنوان الحزن، والأمارة الدالة عليه حتى قالوا أبكاني الدهر، قال الحماسي:

أبكاني الدهر ويا ربما أضحكني الدَّهر بما يُرضي(أبو زكريا، 2000،ص 102)

الكناية الثانية: وقد ذهب فيها إلي نقيض الكناية الأولي، نقيضها في الفعل ففي الكناية الأولي الفعل "فراق الأحبة"، وفي الكناية الثانية "ملاقاة الأحبة."، وكذلك نقيضها في النتيجة، الأولي نتيجتها: الحزن والكآبة من الفراق. الثانية: الفرح والسرور في التلاقي. في الأولي كناية صائبة وهى سكب الدموع كناية

عن الفراق وبعد الأحبة، أما كنايته الثانية فهي جمود الدموع كناية عن الفرح والسرور، وقد جانبه الصواب.

إذ لم يعرف عن العرب أنهم يكنوا عن الفرح والسرور بجمود الدموع في العين، إذ لم يذكر دعوتهم لشخص بالكناية في الدعاء يقولهم: جمدت عينك، أو أسأل الله أن تجمد دمعك أو عينك.

وإنما استخدموا "جمود الدمع" في حالة الحزن الشديد وعدم قدرة العيون على انزال الدموع، وإن الدموع موجودة في العين لكنها جمدت من شدة الحزن الموجب للدمع. وقد وردت كنايات العرب تحمل هذا المعنى منها قول أبي عطاء السندي يرثى ابن هبيرة:

ألا إن عيناً لم تجد يوم واسط عليك بجاري دمعها لجمود (ابن قتيبة، 2007، ج2، ص757)

وكقول الخنساء:

أعينيَّ جـوداً ولا تجـمدا ألا تـبكيـان لصخـر النّدي(المبرد، 2009، ص 117)

وكقول كثير عزة:

ولم أدْرِ أنَّ العين قبل فراقها غداة الشبا من لاعج الوجد تَجْمُدُ (القالي، 1926، ج2، ص 5)

فكما في أبيات هؤلاء الشعراء إن جمود الدموع هو بخل العيون بالدموع في شدة الحزن وقت ارادته منها، يقول أبو الفتح العباسي: (فلا يكون الجمود كناية عن السرور بل عن البخل فيكون الانتقال من جمود العين إلي بخلها بالدموع لا إلي ما قصده من السرور.) (أبو الفتح، 2011، ج1 ص52)

على هذا يكون في البيت خفاء في الدلالة على المراد، لصعوبة انتقال الذهن من المعنى الأول لـ "جمود الدموع" إلي المعنى الثاني الذي يريده الشاعر وهو "الفرح والسرور" بلقاء الأحبة، لوجود معنى ثالث حسب الكناية ينتقل إليه الذهن عُرفاً "وهو الحزن الشديد حتى إن الدموع جمدت في العين" وهذا التعقيد الذي نشأ في هذه الكناية هو "التعقيد المعنوي".

قول التعريف: "مع عدم وجود قرينة"

التعقيد المعنوي فيه خفاء انتقال الذهن من المعنى الأول إلي المعنى الثاني المقصود، وسبب الخفاء وجود معنى ثالث – متعارف عليه بالمجاز والكناية – ينتقل إليه ذهن المخاطب ولا توجد قرينة تدل على المعنى المراد، وتمنع إرادة المعنى الثالث، فمثلاً: إذا قلت: رضا كثير الرماد، وأنت تقصد أن رضا صاحب مطعم يبيع الطعام، وأن كثرة الرماد ناتجة من صناعة الأكل في المطعم، ففي هذا تعقيد معنوي واضح لأن هذا الكلام في عرف الناس يدل على معنى ثالث وهو أن "رضا" رجل كريم، فكرم "رضا" المفهوم عُرفاً من الكلام إنه صاحب مطعم المعنى الذي يريده المتكلم، لا توجد قرينة ترجح المعنى الذي يريده المتكلم، ولو وجدت وقال المتكلم: "رضا كثير الرماد لرخص أسعاره"، فكلمة "رخص أسعاره" قرينة تدل على أن المعنى المراد: أنه "صاحب مطعم" فلا يكون في الكلام تعقيد معنوي لأن القرينة تنقل الذهن إلي المعنى المراد بكل سهولة وتزيل الخفاء.

واشترط العلماء في تعريفاتهم للتعقيد المعنوي "عدم وجود قرينة" يقول القزويني: (مع خفاء القرائن الدالة على المعنى المقصود.) (القزويني، 1993، ص 33) ويقول الهاشمي: (مع عدم ظهور القرائن الدالة على المقصود.)(الهاشمي، 1999، ص 34). والتعقيد المعنوي يقوم على الكناية أو المجاز يقول حسن حبنكة: (ويكون باستخدام كنايات من العسير ادراك المراد منها لعدم اقترانها بما يشير إلي دلالتها المرادة،

فينجم عنه خفاء دلالة الكلام وصعوبة التوصل إلي معرفة المراد منه.)(حبنكه، 1996، ج1، ص125) ونفس المعنى قال به مساعد الحازمي حيث يقول: (التعقيد المعنوي: أن يستعمل لفظاً ويريد به معنى بعيد دون اقامة قرينة تدل على ذلك.) (الحازمي، 2019، ج1، 16)

كيف يعرف التعقيد المعنوي:

التعقيد المعنوي يعرف من كثرة الدراسة والاطلاع في علم البيان، وبه يتمكن المتكلم من تجنيب كلامه الخفاء المؤدى للتعقيد المعنوي، يقول حامد عوني في كيفية معرفة التعقيد المعنوي: (يعرف من دراسة علم البيان فمن زاول هذا العلم وأحصى مسائله عرف كيف يتوقى التعقيد في معانى الكلام...)(عوني، 1974، ج3، ص 71)، ويقول الهاشمي: (التعقيد المعنوي يعرف بعلم البيان.)(الهاشمي، 1999، ص 44)

كثرة المعاني:

كثرة المعاني وازدحامها وتباينها، يجهد الذهن لصعوبة الغوص في معانى متباينة، مما يحدث تداخلاً وخفاء يؤدي إلي تعقيد يمكن أن يلحق بالتعقيد المعنوي. يقول إحسان عباس: (ذم حشد المعاني في البيت الواحد، وكذلك أخذ ابن خلدون عن أشياخه نفورهم من حشد المعاني وتزاحمها في البيت والواحد، مؤثرين السهولة والتبسيط. أما كثرة المعاني في البيت فذلك نوع من التعقيد، والتعقيد شيء كرهه نقاد الأندلس.)(عباس، 1983، ص 618)

ومن ازدحام المعني في بيت الشعر، يقول ابن خفاجه:

ففرَّقت جيب الليل عند شخص أطلس تطلَّع وضَّاح المضاحِكِ قاطب

أطلس: أغبر، المضاحك يقصد بها الأسنان، قاطب: زوى ما بين عينيه وعبس، فيكون شرح البيت: أنه رأى في هذا الليل شخص أغبر اللون لكن ضاحك وباسم، أسنانه واضحة من ابتسامته، ومع ذلك فإن وجهه عابس مقطب الوجه، يقول شوقي ضيف: في هذا البيت: (تراه يعبر عن غبش الفجر الذي تختلط فيه أشعة النهار بظلام الليل بهذا الشخص المتنافر في الصورة فهو يضحك ويقطب في آن واحد، وهي صورة طريفة

والواقع إن قول ابن خفاجه كان يعني بكثرة الصور في شعره حتى لتكاد بعض أبياته لا تفهم من كثرة ما يودع فيها من أخيلة واستعارات.)(ضيف، 2006، ص 447)

ففي هذا البيت يقول الشاعر إن هذا الشخص "وضاح المضاحك" أي إن وجهه باسم، وفي نفس البيت: إن هذا الشخص عابس الوجه "قاطب" فانتقال الذهن من حالة هذا الشخص في سروره وابتسامه إلي حالة حزنه وعبوسه في نفس الوقت والحال، إنتقال بعيد يُصعِّب الفهم ويجعل في الكلام خفاء وتعقيد في المعنى.

مخالفة الواقع:

مما يلحق بالتعقيد المعنوي كذلك مخالفة الواقع حيث أن الكلام المنطوق هو الصور الكلامية، وهناك في الصورة الخارجية أو الواقعية، فالكلام أو الصور الكلامية لابد أن تطابق الصورة الخارجية، فإذا لم يتطابقا يحدث للمحاطب لبس وتعقيد، كما هو في قول أبي نواس:

كأن بقايا ما عفا من حبابـها تفاريق شيب في سواد عذار

تردت به ثم انفرى عن أديمها تفري ليـل عن بياض نهار

حبابها: الفقاقيع، تردت به: لبسته رداء، انفري: انشق، أبو نواس في هذين البيتين: شبه فقاقيع الخمر على رأسها بالشيب بجامع البياض في كل، وشبه في البيت الثاني: الحباب الذي جعله في البيت الثاني كالليل، هو الذي كان في البيت الأول أبيض كالشيب والخمر التي كانت في البيت الأول كسواد العذار، هي التي صارت في البيت الثاني كبياض النهار، وليس في هذا التنافر منصرف إلي جهة من جهات العذر لأن الأبيض والأسود طرفان متضادان ... فليس يجوز أن يكون شيء واحد يوصف بأنه أبيض وأسود.)(قدامة، 1302، ص 80)

وأبو نواس مع أن في بيتيه تناقض مع ذلك هناك مخالفة للواقع حيث جعل الخمر أسوداً كالليل في البيت الثاني، مما ألبس على المتلقي وصعوبة انتقال الذهن بين المعنى الكلامي والواقع، مما أحدث خفاء وتعقيداً للمعنى.

ومثله ما جاء في قول المرار:

وخال على خديك يبدو كأنه سنا البرق في دعجاء بادٍ دجونها

فالشاعر هنا شبه "الخال" الشامة التي على الخد بـ "سنا البرق" ومعروف بياضه، وجعل خديها سود "باد دجونها" وهذا مخالف للواقع، مما يحدث صعوبة للذهن في فهم وتصور هذا المعنى الذي أراد أن يرسمه الشاعر. وقد أورد أسامة بن منقذ هذا البيت تحت عنوان "المعارضة والمناقضة" وعلق عليه بقوله: (ومعلوم أن الخال أسود، وأما الخد فلا يكون أسود.)(ابن مرشد، 1961، ص 153)

فمخالفة الواقع كما رأينا ترهق الذهن في تقبل الصورة الكلامية، لصدق ما يراه في الواقع مما يحدث له صعوبة تقبل وتعقيد في المعني.

اللّغز والمعمّى:

الفصاحة هي الظهور والوضوح والبيان، ولا يوصف الكلام بالفصاحة إلا إذا انطبقت عليه شروط كلها تقوي ظهور الكلام وسلامته ووضوح معناه، وهذا يأتي عكس الكلام الذي فيه اللغز والمعمّى، إذ أن معناهما قائم على عدم الظهور والوضوح لذلك اختلف الحاقهما بالتعقيد المعنوي يقول عبد المتعال الصعيدي: (اختلف في دخول اللغز والمعمّى في التعقيد، فقيل إنهما منه، وقيل إنهما من المحسنات البديعية إن كانت الدلالة فيهما ظاهرة للفطن، وكل منهما قول يدل ظاهره على خلاف المراد.)(الصعيدي، 2005، ج1، ص20). ويقطع بعض العلماء بأن الألغاز والمعمّى من التعقيد، ولعلهم يريدون بقولهم "التعقيد المعنوي" يقول شوقي ضيف: (صناعة الألغاز تدخل في النثر الكتابي وهي ضرب من ضروب التعقيد.)(ضيف، 2006، ص 263).

مثل قول النابغة:

يثرن الثّرى حتّي يباشرن برده إذا الشمس مجّت ريقها بالكلاكل

يقول أبو هلال العسكري: (معناه: يثرن الثرى حتى يباشرن يرده بالكلاكل إذا الشمس مجّت ريقها. وهذا مستهجن جداً لأن المعني تعمّى فيه.)(العسكري، 1919، ص 164)، وتعمّى المعنى هو خفاءه وعدم وضوحه وهذا يلحق بالتعقيد المعنوي، ومن اللغز قول الصفدي في خاتم:

ومستدير تروق العين بهجته كأنـه ملك نجم الدجى فيه(شيخو، 1913، ج4، ص 208)

حروفه أربـع قد ركبت فـإذا ما قلت أول حرف ثم باقيه

واللغز فيه خفاء للمعنى يذهب إليه الذهن لأكثر من معنى يحتار في أيهما يريد المتكلم، ولكن لأن المتكلم يقصد التعمية والإلغاز على المخاطب لذلك فهو ملحق بالتعقيد المعنوي، لأن في التعقيد المعنوي الشاعر أو المتكلم لا يقصد التعمية والالغاز، وإنما يقصد ويريد المعنى الثاني.

المعاظلة:

المعاظلة من عظل. والعظال ركوب الشيء بعضه بعضاً، يقول ابن منظور: عظل: العظال: الملازمة في السفاد.. وعظلت وعظَّلت: ركب بعضها بعضاً.. وعظالها فعظلها يعظلها .. والعظل.. مأخوذ من المعاظلة.. ويعظلوا عليه: إجتمعوا، وقيل تراكبوا عليه.)(الفراهيدي، 2007، ج11،ص 456)

والمعاظلة: هي الكلام المتراكب في ألفاظه أو المتداخل في معانيه، يقول ابن الأثير: (سمى الكلام المتراكب في ألفاظه أو في معانيه "المعاظلة".)(ابن الأثير، 1998، ج1 ص 305).

وقد قسم ابن الأثير المعاظلة إلي قسمين يقول: (والمعاظلة معاظلتان: لفظية ومعنوية). وذكر ابن الأثير بيت الفرزدق:

وما مثله في الناس إلاَّ مملكاً أبو أمه حيٌّ أبوه يقاربه

وهذا من القسم المعنوي لا من القسم اللفظي ألا ترى إلي تراكب معانيه بتقديم ما يجب تأخيره وتأخير ما يجب تقديمه...)(ابن الأثير، 1998، ج1، 306)

قوله هذا من القسم المعنوي "المعاظلة المعنوية" ونفس هذا التعريف والمضمون هو ما يعرف "بالتعقيد اللفظي".

وإن المعاظلة التي تكره، ووصف عمر رضي الله عنه زهيراً بتجنبها: أن يدخل بعض الكلام فيما ليس من جنسه، (قال ما أعرف ذلك إلا فاحش الاستعارة، مثل قول أوس بن حجر:

وذات هدم عار نواشرها تصمت بالماء توالباً جدعا

فسمى الصبى توالباً، والتولب ولد الحمار، ومثله قول الآخر:

وما رقد الوالدان حتى رأيته على البكر يمر به بساق وحافر

فسمى رجل الإنسان حافراً وهذا ليس من المعاظلة التي هي ركوب الكلام بعضاً.)(الخفاجي، 1982، ص158)

والمعاظلة التي هي ركوب بعض الكلام بعضاً هي التي ذكرها ابن الأثير وسماها "المعاظلة المعنوي).

ويقول ابن الأصبع: (زعم ابن المعتز... أن المعاظلة ما استبشع من الاستعارة.)(أبو الأصبع، 2012، ص 83). والاستعارة هي جزء من المجاز، والكناية والمجاز في تعبيرهما ومخالفته المتعارف عليه يأتي التعقيد المعنوي.

لذلك عندما تطلق المعاظلة يراد بها ما يراد "بالتعقيد" وعندما يقال المعاظلة المعنوية – كما قال أبن الأثير – المراد بها الذي يُراد "بالتعقيد اللفظي"، وعندما تطلق "المعاظلة اللفظية" فهي يراد بها عدة أقسام وأنواع منها "التعقيد المعنوي".

هذه – بحمد الله – دراسة "التعقيد المعنوي" العيب الرابع من عيوب فصاحة الكلام وفيها تناولنا مكانته بين عيوب فصاحة الكلام، وتعريفه، وتفصيل التعريف، وشرحه بالأدلة والشواهد وما يلحق بالتعقيد المعنوي وعلاقته بالمعاظلة والمعاظلة اللفظية.

فأرجو أن تضيف هذه الدراسة للبحث العلمي – في علوم البلاغة واللغة العربية ولو الجزء اليسير.

المراجع والمصادر:

1. أبو الأصبع، عبد العظيم، (2012م) ، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن، ط1، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
2. أبو البقاء، أيوب بن موسي الحسيني(1998م)، الكليات، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة.
3. أبو زكريا، يحيي بن على بن محمد(2000م)، شرح ديوان الحماسة، ط1، بيروت، دار القلم.
4. أبو العباس، محمد بن يزيد المبرد، (2009م)، التعازي والمراثى والمواعظ والوصايا، ط1، مصر، نهضة مصر.
5. أبو العباس، محمد بن يزيد المبرد، (1997م)، الكامل في اللغة والأدب، ط3، مصر، القاهرة، دار الفكر العربي.
6. أبو الفتح، عبد الرحمن أبو الفتح العباسي، (2011م)معاهد التنصيص ط1، بيروت، لبنان، عالم الكتب.
7. ابن الأثير، نصر الله بن محمد عبد الكريم الشيباني،(1998) المثل السائر، ط1، مصر، دار النهضة.
8. ابن سيده، أبو الحسن على بن سليمان(2000)،المحكم والمحيط الأعظم، (ط1)، بيروت، دار صادر.
9. ابن فارس، أحمد بن زكريا، (2008)، مقاييس اللغة، ط1، بيروت، دار الجيل.
10. ابن مرشد، مجد الدين أسامة بن مرشد بن على(1961)، البديع في نقد الشعر، ط1، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والارشاد.
11. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل، لسان العرب، (ط8)، بيروت، دار صادر.
12. الأزهري، محمد بن أحمد، (2001)، تهذيب اللغة، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
13. الابشيهي، محمد بن أحمد بن منصور (1419)، المستطرف في كل فن مستطرف، ط1، بيروت، عالم الكتب.
14. الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، (1994)، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، ط4، القاهرة، دار المعارف، ، ومكتبة الخانجي، ط1.
15. بحر، ابو عثمان عمرو بن بحر بالجاحظ، (1410)، البرصان والعرجان والعميان والحولان، ط1، بيروت، دار الجيل.
16. بحر، ابو عثمان عمرو بن بحر، (1423)، البيان والتبيين، ط1، بيروت، دار ومكتبة الهلال.
17. الجرجاني، على بن محمد بن على، (1983)، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ط1، القاهرة، عيسى البابي الحلبي.
18. الجرجاني، على بن محمد بن على، (1983)، كتاب التعريفات، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

19. الدمنهوري، أحمد بن عبد المنعم، (2017)، شرح الجوهر المكنون، ط1، القاهرة، مكتبة على صبيح.
20. الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفي، (1999)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط1، لبنان، المكتبة العصرية.
21. الزبيدي، محمد بن عبد الرازق الحسيني، (1965)، الكويت، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع.
22. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله، (1998)، أساس البلاغة، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
23. الحارثي، محمد بن حسين بن عبد الصمد، (1998)، الكشكول، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
24. حبنكة، حسن عبد الرحمن الميداني، (1996)، البلاغة العربية، ط1، بيروت، الدار الشامية.
25. الحازمي، أحمد بن عمر الحازمي، (2019)، شرح مائة المعاني، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة.
26. حجر، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث، (2004)، ديوان امرئ القيس، ط2، بيروت، الكندي، دار المعرفة.
27. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، (2000)، جامع البيان في تأويل القرآن، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة.
28. عباس، احسان عباس، (1970–1983)، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط1، ط2، بيروت، دار الثقافة.
29. عبد ربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، ط1،بيروت، دار الكتب العلمية.
30. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، (1919)، الصناعتين، ط1، بيروت، المكتبة العصرية.
31. عوني، حامد عوني، (1974)، المنهاج الواضح للبلاغة، ط1، القاهرة، المكتبة الأزهرية.
32. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (2007)، كتاب العين، ط1، بيروت، دار ومكتبة الهلال.
33. الصعيدي، عبد المتعال الصعيدي، (2005)، بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ط17، مصر، مكتبة الأدب.
34. القالي، أبو على اسماعيل بن القاسم، (1926)، الأمالي، ط2، بيروت، دار الكتب العصرية.
35. قدامة، قدامة بن جعفر بن قدامة ، (1302)، نقد الشعر، ط1، قسطنطينة، مطبعة الجوائب.
36. القزويني، جلال الدين محمد بن عمر، (1993)، الايضاح في علوم البلاغة، ط3، بيروت، دار الجيل.
37. القلقشندي، أحمد بن على بن أحمد الفزاري، (1922)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ط1، دار الكتب العصرية.
38. قتيبة، عبد الله بن مسلم، (1418)، عيون الأخبار، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
39. قتيبة، عبد الله بن مسلم، (1418)، الشعر والشعراء، ط1، القاهرة، دار الحديث.
40. شيخو، رزق الله بن يوسف بن يعقوب، (1913)، معانى الأدب في حدائق العرب، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين.

41. التوحيدي، أبو حيان على بن محمد بن العباس، (1988)، البصائر والذخائر، ط1، بيروت، دار صادر.

42. الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد، (1982)، سر الفصاحة، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

43. ضيف، أحمد شوقي عبد السلام ضيف، (2006)، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط12، مصر، دار المعارف، مصر.